(4)

مَنْظُومَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ

فِي الآدَابِ وَالأَخْلَاقِ

لِلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودٍ الإِلْبِيرِيِّ

المُتَوَفَّى سَنَةَ (460هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

مَنْظُومَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ

فِي الآدَابِ وَالأَخْلَاقِ

لِلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودٍ الإِلْبِيرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

❀

[1] تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا
وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

[2] وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ
أَلَا يَا صَاحِ: أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

[3] أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ
أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتًّا

[4] تَـنَـامُ الدَّهْـرَ وَيْحَـكَ فِي غَطِـيطٍ
بِـهَـا حَـتَّـى إِذَا مِـتَّ انْـتَـبَـهْـتَـا

[5] فَكَـمْ ذَا أَنْـتَ مَـخْـدُوعٌ وَحَـتَّـى
مَـتَـى لَا تَـرْعَـوِي عَـنْـهَـا وَحَـتَّـى؟

[6] «أَبَـا بَكْـرٍ» دَعَـوْتُـكَ لَـوْ أَجَـبْـتَـا
إِلَـى مَـا فِـيـهِ حَـظُّـكَ إِنْ عَـقَـلْـتَـا

[7] إِلَـى عِـلْـمٍ تَـكُـونُ بِـهِ إِمَـامـًا
مُـطَـاعـًا إِنْ نَـهَـيْـتَ وَإِنْ أَمَـرْتَـا

[8] وَيَجْلُو مَـا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَـــاهَا
وَيَهْـدِيـكَ الـسَّـــبِـيـلَ إِذَا ضَــلَـلْـتَـا

[9] وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا

وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا

[10] يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا

وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

[11] هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو

تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

[12] وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا

خَفِيفُ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

[13] يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ

وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

[14] فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمـًا

لَآثَـرْتَ الـتَّـعَـلُّـمَ وَاجْـتَـهَـدْتَـا

[15] وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ

وَلَا دُنْـيَـا بِزُخْرُفِـهَـا فُـتِـنْـتَـا

[16] وَلَا أَلْـهَـاكَ عَـنْـهُ أَنِـيـقُ رَوْضٍ

وَلَا خِـدْرٌ بِـرَبْـرَبِـهِ كَـلِـفْـتَـا

[17] فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ المَعَـانِي

وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَـرِبْتَـا

[18] فَـوَاظِـبْـهُ وَخُـذْ بِالـجِـدِّ فِـيـهِ

فَـإِنْ أَعْـطَـاكَـهُ اللهُ أَخَـذْتَـا

[19] وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهِ طُولَ بَاعٍ

وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

[20] فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ

بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا؟

[21] فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا

وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا

[22] وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَا أَنْ

تُرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

[23] إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْراً

فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

[24] وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ
فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

[25] سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلاً
وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ وإِنْ كَبِرْتَا

[26] وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ
وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَإِنْ فُقِدْتَا

[27] وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ
وَتَغْبِطُهَا إِذَا عَنْهَا شُغِلْتَا

[28] لَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا
وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا

[29] إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ
قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا

[30] فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى
فَمَا بِالْبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا

[31] وَلَا تَحْفَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ
فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

[32] وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى
وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

[33] سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ
وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا

[34] وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي
إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

[35] جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلاً
لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

[36] وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ بَوْنٌ
سَتَعْلَمُهُ إِذَا (طَهَ) قَرَأْتَا

[37] لَئِنْ رَفَعَ الغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ
لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

[38] وَإِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا
لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

[39] وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ

لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

[40] وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي

فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟!

[41] وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا

إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

[42] فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ

إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا؟

[43] فَقَابِلْ بِالقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي

فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

[44] وَإِنْ رَاعَـيْـتَـهُ قَـوْلاً وَفِـعْـلاً
وَتَـاجَـرْتَ الإِلَـهَ بِـهِ رَبِـحْـتَـا

[45] فَلَيْسَـتْ هَذِهِ الدُّنْيا بِشَــــيْءٍ
تَسُــوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُــــرُّ وَقْتَـا

[46] وَغَـايَـتُـهَـا إِذَا فَـكَّـرْتَ فِـيـهَـا
كَفَيْئِـكَ أَوْ كَحُـلْـمِكَ إِنْ حَلُمْتَـا

[47] سُجِنْتَ بِـهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ
فَكَـيْفَ تُحِبُّ مَـا فِيـهِ سُجِنْتَـا

[48] وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيـبٍ
سَتَـطْعَـمُ مِنْكَ مَـا مِنْـهَا طَعِمْتَـا

[49] وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْــتَ لَهَا ثِيَابـًا

وَتُكْسَـــــــى إِنْ مَلَابِسَــهَا خَلَعْتَا

[50] وَتَشْـهَدُ كُـلَّ يَـوْمٍ دَفْنَ خِـلٍّ

كَـأَنَّـكَ لَا تُـرَادُ بِـمَـا شَـــهِـدْتَـا

[51] وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَـا وَلَكِنْ

لِـتَعْبُـرَهَـا فَجِدَّ لِـمَا خُـلِقْتَـا

[52] وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا

وَحَصِّـنْ أَمْرَ دِيــنِكَ مَا اسْـتَطَعْتَا

[53] وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَـا فَـاتَ مِنْهَـا

إِذَا مَـا أَنْـتَ فِـي أُخْـرَاكَ فُـزْتَـا

[54] فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا

مِنَ الفَانِي إِذَا البَاقِي حُرِمْتَا

[55] وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَهْواً

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

[56] وَكَيْفَ لَكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنٌ

وَلَا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غَلِقْتَا؟

[57] وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا

وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

[58] وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا

بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

[59] وَلَازِمْ بَـابَـهُ قَـرْعـًا عَسَــاهُ
سَــيَفْتَحُ بَـابَـهُ لَـكَ إِنْ قَـرَعْـتَـا

[60] وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبـًا
لِتُـذْكَرَ فِي السَّــمَـاءِ إِذَا ذَكَـرْتَـا

[61] وَلَا تَقُـلِ: الصِّــبَا فِيـهِ مَجَالٌ
وَفَـكِّـرْ كَـمْ صَــغِيرٍ قَـدْ دَفَـنْتَـا

[62] وَقُلْ لِي: يَا نَصِــيحُ لَأَنْتَ أَوْلَى
بِنُصْــحِكَ لَو بِعَقْلِكَ قَـدْ نَظَرْتَـا

[63] تُـقَـطِّـعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَـوْمـًا
وَبِـالـتَّـفْرِيطِ دَهْرَكَ قَـدْ قَطَعْـتَـا

[64] وَفِي صِـــغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا
وَمَـا تَجْرِي بِبَـالِـكَ حِينَ شِـــخْتَـا

[65] وَكُنْتَ مَعَ الصِّـبَا أَهْدَى سَـبِيلاً
فَمَا لَكَ بَعْدَ شَــيْبِكَ قَدْ نُكِسْــتَا

[66] وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا
كَمَـا قَـدْ خُضْــتَـهُ حَتَّى غَرِقْتَـا

[67] وَلَـمْ أَشْــرَبْ حُـمَـيَّـا أُمِّ دَفْـرٍ
وَأَنْــتَ شَرِبْـتَـهَـا حَـتَّى سَـكِـرْتَــا

[68] وَلَـمْ أَحْـلُـلْ بِـوَادٍ فِـيـهِ ظُـلْـمٌ
وَأَنْـتَ حَـلَـلْـتَ فِـيـهِ وَانْـهَـمَـلْـتَـا

[69] وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ
وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

[70] وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَاراً
وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

[71] وَنَادَاكَ (الكِتَابُ) فَلَمْ تُجِبْهُ
وَنَهْنَهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

[72] لَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي
وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

[73] فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي
وَلَوْ سَكَتَ المُسِيءُ لَمَا نَطَقْتَا

[74] وَنَفسَـــكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِـــوَاهَا

بِعَيْـبٍ فَهْـيَ أَجْـدَرُ مَنْ ذَمَمْتَـا

[75] فَلَوْ بَكَـتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفـًا

لِذَنْبِـكَ لَـمْ أَقُـلْ لَكَ قَـدْ أَمِنْتَـا

[76] وَمَنْ لَـكَ بِـالأَمَـانِ وَأَنْـتَ عَبْـدٌ

أُمِرْتَ فَمَـا ائْتَمَـرْتَ وَلَا أَطَعْتَـا

[77] ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى

لِـجَـهْـلِـكَ أَنْ تَـخِـفَّ إِذَا وُزِنْـتَـا

[78] وَتُشْفِقُ لِلْمُصِـــرِّ عَلَى المَعَاصِي

وَتَـرْحَـمُـهُ وَنَـفْـسَـكَ مَـا رَحِـمْـتَـا

[79] رَجَعْتَ القَهْقَرى وَخَبَطْتَ عَشْواً
لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا

[80] وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ
وَنَاقَشَكَ الحِسَابَ إِذاً هَلَكْتَا

[81] وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ
عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا

[82] وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الفَصْلِ فَرْداً
وَأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى

[83] لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا
عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

[84] تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ
فَهَلَّا عَنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا

[85] وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا
وَلَوْ كُنْتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا

[86] فَلَا تُكْذَبْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ
وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

[87] «أَبَا بَكْرٍ» كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي
وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا

[88] فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي
وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

[89] وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي

بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

[90] فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ فَهْيَ عَارٌ

عَظِيمٌ يُورِثُ الإِنْسَانَ مَقْتَا

[91] وَتَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا

وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

[92] كَمَا الطَّاعَاتُ تُنْعِلُكَ الدَّرَارِي

وَتَجْعَلُكَ القَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا

[93] وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلاً

فَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا

[94] وَتَمْشِـي فِـي مَنَـاكِـبِهَا كَرِيمًا
وَتَجْنِي الحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْـتَـا

[95] وَأَنْـتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَابٍ
وَلَا دَنَّسْـــتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَـأْتَا

[96] وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ
وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

[97] فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِـبْتَ فِيهِ
وَمَنْ لَكَ بِالخَلَاصِ إِذَا نَشِـبْتَا

[98] وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى
كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

[99] وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ
وَكَيْفَ لَكَ الفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

[100] وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ
كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

[101] وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَاراً
وَكُنْ كَـ(السَّامِرِيِّ) إِذَا لُمِسْتَا

[102] وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَاماً
لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

[103] وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ
يَنَالُ العُصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

[104] وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ
يُمِيتُ القَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

[105] وَغَرِّبْ فَالغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ
وَشَرِّقْ إِنْ بَرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

[106] فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولاً
لأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا

[107] وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا
سُمُوّاً وَافْتِخَاراً كُنْتَ أَنْتَا

[108] فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا
إِلَى (دَارِ السَّلَامِ) فَقَدْ سَلِمْتَا

[109] وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا
لِإِكْرَامٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

[110] جَمَعْتُ لَكَ النَّصَايِحَ فَامْتَثِلْهَا
حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

[111] وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ
لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

[112] فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي
وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَا

[113] وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا سِتًّا حِسَانًا
وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِئَةً وَسِتَّا

[114] وَصَلِّ عَلَى تَـمَـامِ الرُّسْلِ رَبِّـي
وَعِـتْـرَتِــهِ الْكَـرِيـمَـةِ مَـا ذُكِـرْتَــا

